كتاب السيد حفظي

كتاب السيد حفظي **قصص**

كريم علي الشريف

الطبعة الأولى: 2025

تصميم الغلاف: سمير درويش

التنسيق العام: ياسر الجدي

دار الأدهم للنشر والتوزيع

15 شارع عبد القهار من شارع الأصبغ – حدائق الزيتون – القاهرة – مصر

ت:

01227341893- 01023186228

Email: fareskhedr69@gmail.com

دار الأدهم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2024 / 33298

الترقيم الدولي: 978- 977- 748- 756 - 6

المدير العام: **فارس خضر**

كتاب السيد حفظي

قصص

كريم علي الشريف

2025

إهداء

إلى سادتي من تركوا بي جميل الأثر وشكلوا فارقا بأيامي وكلماتي.

ا/ كنانة عيسى – ا/ أمير بربر

(يحيى الطاهر عبدالله– عبد الحكيم قاسم)

ا/ شعبان يوسف – ا/ أشرف البولاقي

د/ أحمد الجعفري ـ ا.د / مصطفى عطية

ا/ محمد جمال الدين – ا/ عويس معوض الخطيب.

ا/ عمرو الشيخ – ا / فتحي اسماعيل

ا / مصطفى جوهر – ا/ محمد أبو كاشف

د/ إلياس بليح – ا / سيد علي رأس العين (الجزائر)

ا/ مصطفى الزيني – د/ فارس خضر.

أهدي مجموعتي وكل الود وموفور الاحترام

[1]
تمرد

تَمرد على أن يكون بطلًا... تَمرد بطل روايتِه التي يكتب، تَسلق الأسطر صاعدًا وخَلّف ورقة تلو الورقة، يحث الخطى نحو عنق النص، غرز أظافره السوداء التي أهملها الكاتب مع لحيتِه ورداءه، غرزها في لحم الكلمات، الكلمات القاسية التي آلمته ولم يسمح له الكاتب بالآه...

الآن تَحرر مِن رَسن الحروف، استحال حبرًا يلطخ كل إهانةٍ أصابته وأنامل الكاتب؛ نزف على كامل حياته بين طيات الورق... غادر البطل الرواية!

[2]
دبيب لثلاثة أصابع

خرج ديك من عِشته في دَغْشةِ صبيحة ما... خرج ليملأ حوصلته بالحبوب من بين الدروب والأزقة... وقد خلت الحارة وما حاطها بسبب الكوليرا! من ابن قابيل وإقليما حظ هابيل من بطن حوا! تغيرت الأمور... فّتحت المناقير أبواب الأقفاص... تَهَدلت أجنحة الحمائم، في دعة واسترسال بينما تلتقط أذناها لأخر مرة زجزجة وصرير قفل ومفصلّْةْ! أهملت قصاري زرع كانت مُهملة بالأساس إلا من بَصقات من جَردل بُوّْيْاَ رقيق الحال كان أحمر مذ وقت! واستحال إلى خرق باهت إذا ما غزته أشعة الشمس امتلأت أكياس الغربان بنثر لحم الجيف... تكفلت الضباع والقطط بالباقي... بينما ماتت الكلاب! ظَلت أنوار المصابيح حتى انسحبت واحدة تلو أختها وسرعان ما مات النور

ونحرت رقبة الوَنس إلا من... إلا من مصابيح سيارات... سيارات تحوي جيفًا لمن قضوا بهاّ! حيث ماتت سوقها على الفرامل! راقت الدُنيا من المدينة الصناعية وسوق التلات وطوابير الصباح وزعيق هنا وهناك بمكبرات وبغير مكبرات! وماتت سَمكات فاتنات بأحواض خَيِّم عليها تراب الهَجر! وأكلت وسطاهم صغيرتهم... كانت مُنهكة كبيرتهم!.. فإلتهمتها وسطاهم!.. ثم ماتت... لتلتهمها حفنة من البكتريا... خنقها الغبار بعد أمد! مات صارف الدواء والعيان!.. مات الشيخ بنحر زوجته والعامل على ماكينته وكُثر على مقشاتهم وأحذية المارة... وشاهت وازرقت وجوه ولمعت أحذية!... صارت تضوي... لتعكس مُحيا هزيل متعرق توخذه روح الزُرقة بكامل طلته! صارت فارغة من كل دبيب غير دبيب ديك خرج في دغشة صبيحة ما ليملأ جوفه من بين الأزقة والثنايا.

[3]
سرفيس خط 8

زيّنتها نُدبة اعترضت طريق أنفِها، في صدرها بالأحرى، كانت خمرية اللون تميل إلى لون رغيفٍ ساخن يمتلئ بالصَهد عندما تخجل. عيناها عاديتان، وأهداب عادية هزيلة، كما أن مقلتيها تحاصرهما هالة من الظلام... بَدت حنونًا وقصيرة خفيفة الظل والوزن أيضًا. قابلتها على باب سرفيس خط تمانية زاحمتني فتراجعت، تبادلنا النظر والاحتكاك بفضل المطبات والتي وددت أن أشكرها.

مَر الوقت بطيئًا رغم سرعته، إذ حاصرتني لحظة الفراق العاقر والتي لن تنجب ما بعد !خرق صريرُ مكبح السيارة عالمَنا، أنعمت النظر وبؤبؤا عينيها يرتعشان مسرورين، ويبتسمان أيضًا وهُمَا يجوسان في عينَي وشفتَي بالتبادل.

وقف السائق وهو يقول "كوبري الصوفي"... قفزتْ دونما حركةٍ أو حِس، وقيّدني خجلي عن النطق -بالشفا شَذرني بها شابٌّ عشريني نحيف، يرتدي قميصًا أخضر زرعيا موشّى بعلاماتٍ تجارية لأحذيةٍ وإطارات سيارات، لاك لي السؤالَ بلسان واثقٍ متمرسٍ وغجري: "أجرة يا زبون". قطع شرودي، انتزع عينَي من خارج السرفيس حيث أتتبعها وانتزعت هي قلبي والمحفظة!

[4]
نصف باب يكفي

نَعم... لص... أنا لصٌ! و ضلالي... وبمئة مِلة... صيدلي وأمشي بمنزلي عاريًا... عازف ماهر عندما أطحن الطعام... شره للحياة وناقمٌ عليها... لكني أحببتها! لم تكن الأجمل! فقط عيناها وسِعَتَاني... وشملتهما... كانت الأمور تسير بكرم يسترعي الوقوف أمامه !حتى جاء يوم الفرح وقد جززت كل أوصالي العالقة بأنفاق أخريات... أخريات كُثر للحدّ الذي تتوقف فيه عن الاشتهاء ويقرصك شيء من العفاف. امتنعت تمامًا عن كل شاردة وواردة، مفتاحها عندي !افتقدت الشعور! والمشعور به !!مع صبيحة يوم الفرح... أغلّقتُ أبواب الصيدلية منذ أسبوع ومكثتُ في بيتي... أتجهز باب العالم الذي رشمته بصليب من الخشب، هاتفتني إحداهن... رققت

لإحداهن رفرف قلبي في وجل... خامَرَني ما يخامِر العطشان في صحراء، سككت عيني في مقاومة شحنها ما بقابل الأيام، وزفرتُ دخانًا أزرق له ثمنه !كانت عيناي مغبشة بالحَمار ككعبيها... الملعونة !ماذا أفعل يا ست نفيسة ؟! صرخت. استفقت على هاتف من - المزغودة -. نعم تعاركنا أمس... ليلة الحنة نعم! كانت رخيصة... رخص (نَوَى البلح!) طلبت مني أُجرة الدي جي، ولم تستقدمني لنسهر معًا! (قال إيه ده يومي مع أهلي وناسي!) هكذا ردت الحربوتة الجميلة! واللصة ذات اليد الخفيفة ولطشتني!... رغم كثرة المفاتيح التي بجعبتي إلا أنها تماهت مع القِفْل واستغلقت عليّ كل شاردة وواردة !وجدتني أرتدي ثيابًا وأضع الريحة وأُلمّع الحذاء، والذي حملني على أقدامي إلى الصيدلية رغم أن عربتي تحت البيت !أهرول كما السائر في جنائز الصالحين! وصلتُ، ووجدتها تُدير ظهرها لباب الصيدلية... كان مكثفًا ورقيقًا. رفرف قلبي... لثوانٍ... زادت الوتيرة مع فتحي للباب... صارت الرفرفة سكعًا وارتطامًا... ولجنا معًا مع نصف الباب... غِبنا... طويلًا غِبنا... نسيتُ أن أُغلق الباب!... استدركتُ... لعنتُ (الأبيحة) الجريحة !قفزت في فروسية أجهل مصدرها! تجاه الباب... أقضم الفراغ بيني وبين القلق! شَببتُ

وخبطتْ عيناي بأقدام أعرفها... مقاس أطفال - تلك الملعونة! -القمر- فإذ بي أترهّل من داخلي ولمع عرق المصائب بجبيني. سببتُها... نعم... فعلتُ! إذ أصابتني بعيني وهي تقذف الدبلة -غوري يا بنت الجعان !نعم سافل... أيضًا لكني أحببتها !بنت الجعان... مرت بيننا الأيام، داستنا بأقدامها... غلفت ما بالقلوب ومشت الدنيا. جاءتني بعد خمس سنوات... وبرفقتها زوجها - على ما يبدو... زوجها - يتعلق بيدها وتركب هي العلاقة... رغم كونه طويلًا وليس هناك ما تستهجنه فيه! كانت بيدها وصفة طبيب نساء، مذخرة بصنوف شتّى من المنشطات، منشطات المبيض! أومأت لمّا زاحمتني الأسئلة ! صامتًا تعاطيت معهما وعيناي معها... لا أُبالي... ولم يبالِ!! انتهت المهمة واستدارا في صمت، غابا عن نظري في صمت... تجلى فجأة زوجها وقال في حميمية بريئة: محتاج النجدة !نكشتْ ضحكة صدري، ولم تخرج، سرعان ما انطفأت... غبت عنه قليلًا وسحقت له مُدرًا للبول.

[5]
أبو كفة

مع تبسّم ثغر فجر يوم الجمعة، حيث السوق الأسبوعية للبلدة، نهضتْ حنان الملفوفة مورّدةَ الوجنتين، ينضح صدغاها حمرةٍ تروق العينَ، رغم كونها في شهرها التاسع... أيقظتْ بناتِها الثلاث، لوز، ووردة، ومانجة. قطط جئن رأس بعضهن فوق بعض، هزيلات لكنهن نشيطات، مطيعات، لهنّ حظ من النباهة.

شَرعن في طقوس ذلك اليوم، حيث قامت البنات بجمع البيض من أعشاشٍ شتّى صنعتها الدجاجات أعلى سطح البيت، كما كانت الأمّ حينها تحلب الجاموسة، وترصّ أقراص الجبن القريش التي صنعتها، كما لفلفت كراتِ الزبد في قماشٍ أبيضَ مُعدٍ لذلك.

ذهبت الأمّ وبرفقتها بناتها الثلاث، كلّ منهن تحمل فوق رأسها "سَبتًا" من سعف النخيل يحوي بضاعتهن... سِرن ما يربو على عشرة كيلو مترات، حيث لا شيء يقِلّهن من العزبة حتى الطريق العمومي. أمّا الأب فكان غارقًا في النوم، يحتضن ابنته الصغرى "شربات" صاحبة السنوات الثلاث. كان الأب ينتظر مولوده الجديد بفارغ الصبر، لا سيما بعدما نبّأته الداية أن حنان ستلِد له تلك المرة الولدَ الذي يريد.

استيقظ في السابعة... أخرج البهائم وامتطى حماره الأسود المليح، وذهب إلى الحقل ومعه طفلته. أمّا حنان فقد أوشكت على الانتهاء من بيع بضاعتها، وإذ بأحدهم يرتدي جلبابًا من القطن وقفطانًا أبيضَ زاهيًا، وله ملامح شقية خبيثة تبعث على الريبة... تَوجه صوب حنان وهو يخمش ذقنه، وعيناه تطاردان حنان خطوةً بعد خطوة، وحنان ترميه بنظرةٍ مكابرة واثقة... أمالَ رأسه وهمس: ازيّك يا حنون. لم ترد. تنحنح لمَّا غمره الحرج وقال مهددًا: الأرضية يا حنان. -أمّ لوز... اسمي أمّ لوز. تَبسّم الرجل وقال: وهو كذلك يا لوز اللوز. دفعت له على مضض. أخذ الرجل النقود وقال في تودد: ممكن ما

تدفعيش لو ننول الرضا يا حن... يا أمّ لوز. تجهمت حنان ولم ترد، وأشاحت بوجهها بعيدًا عنه، تركها وهو ينفخ غيظًا حارًّا ضاق به صدره العريض. عادت حنان عند الظهيرة بعدما تبضعت، ولملمت باقي نقودها في كيس قماش دفنته في صدرها. اغتسلت حنان وحرصت على أن تستحِم البنات أيضًا، ارتدين جميعًا ثيابًا نظيفة، وضفّرت لهن شَعرهن الطويل الذي ورِثنه عنها، ثم شرعت في إعداد الغداء.

عاد أبو وزة ومعه طفلته الصغرى، التي أسرعت نحو أمّها بمجرد ولوجها من عتبة البيت... جلسوا للغداء حول الطبلية، وهَمّ أبو وزة سائلًا زوجته عن صحتها والجنين. ردت حنان باقتضاب، وقد عكر مزاجَها ذاك البلطجي، وكادت أن تبوح لزوجها لكنها خشيت مآلاتِ البوح... فاكتفت بالنظر لبناتِها ولسانُ حالها يحذّرهن مِن إفشاء السر. شعرت حنان بضرباتٍ متتالية ومؤلمة أسفل بطنها، ثم تعرّقت... زاد التعرق... شحبَ وجهها... أطلقت صرخة ألمٍ وهي تقول: أنا هاولد يا مسعد. -الداية... الداية. قالها مسعد وقد انتفض يحشوه القلق، وراح يهدهد زوجته حنان في جوٍ سرحت عليه أهداب الغروب، إلا من لمبة جازٍ بزجاجةٍ مخروطية مشروخة بطول جسدها، يكسو رقبتَها

الهباب. بيت مِن أطواف روث المواشي، والطَفلة، والحصى الدقيق، ومعروشة بجريد نخيل. انتبهت ابنته الكبرى، وسرعان ما جرَت لوزة بسنواتها العشر، وبجلبابها الذي يكشف مع كل خطوة عن قصبتَين دقيقتين، توجهت صوب آخر بيت في عزبة خورشيد... بابٌ خشبي رقيق الحال، مقرّح بالوسخ ونُدف الزمن السمراء ترَقط جسده. دفعت الترباس... بحكم معرفتها بطقوس البيت... إذ إنها تعيش بمفردها، وقد عانت كثيرًا سؤالَ الناس؛ الناس الذين تخلّوا عنها حينما قضت عائلتها، إذ هاجمهم الجُذام واحدًا تلو الآخر... فقررت ألا تَخرج إلى أحد بعدها، مَن يريدها يطرق الباب ويتنحنح، ثم له الأمان.

كانت داية وحكيمة صحية و"معاها ناس" أيضًا. دخلت لوزة بعدما تنحنحت... -سِت جمالات... سِت جمالات... أمّي بتولد وأبويا غرقان في وَحلة دار البهايم. -خُشّي يا بِت. قالتها جمالات بأحبال فرَطها الزمن، تحوطها العتمة مِن كل اتجاه، إذ كانت ضعيفة النظر، ولم يرتَد بعدُ أطباء الرمد كليات الطب. كانت تجنح للغوص في الظلمة لتقوية بصرها الذي حاصرته غشاوة السن. -إنتِ بنت مسعد أبو وزة... تعالي يا بنت حنون. كانت تحِب أكل حنان وعيشَها

المخبوز والبساريا المقلية. -سَنّديني يا بنتي. وصلا البيت وقد أقلّتهما حمارتها... شقّت صرخة حنجرة حنان، ولدت حنان... شَهقت جمالات عندما تَحسّسته، وفي ضوء لمبة الجاز الوانس رأى أبو وزة الطفل... أخذ يلطم رأسه، ويقول ملتاعًا: يا عارك يا مسعد يا حزنك يا مسعد... قِرد! والدة قِرد يا حنان؟! كان الطفل ملتحفًا بسواد من الوبر، عدا مُقلتيه وحول ثغره وباطن يده وقدمه. ولْولَت حنان، وسرعان ما قطمت نحيبها مع أول صرخة للطفل... رقّت له وأخذ قلبها يخفق وصدرها يتمرد بداخله اللبن... تَناولته ورضع حتى سَكت، رضع كثيرًا كطفلٍ عمره أشهر... تَعجبت مِن ذلك، لكن فرحها بذلك غلب ارتيابها، راح مسعد خلف حمارة الداية لاهثًا غارقًا جلبابه فيما جف من وحل، وقدماه حافيتان: سِت جمالات... سِت جمالات... ماله الواد؟ !تهربت جمالات كثيرًا، وبعد إلحاح نطقت: ربنا يعينك على أيامك الجاية يا أبو وزة.

عاد محسورًا حاسرًا رأسه بأنشوطة من الخيش؛ هربًا من فورة الدم الذي طفطف برأسه... وبينما هو في طريق بيته والكُحل يغمره بلغ سمعه ما يقوله المارة، كل المارة: مسخوط! يا رب ارفع مقتك

وغضبك عنا. -قرد... قرد! معقولة يا بت! - أيوا قرد والعياذ بالله! - قرد! ضغطت حروفها العجوز... وأردفت: نجاسة يا بنتي... دي عاشقة جن اللهم احفظنا! ابتلع الرجل فضيحته مع ريقه، وما إن وصل البيت حتى وجد الطفل غارقًا في النوم على يد أمّه، وعبارات الشماتة والتندر تطوف حول البيت.

سَحبه برفق، وعيناه ترقبان حنان، وتهطل دموعًا ساخنة: تعال يا ابن الشيطان! أخَذه إلى الدار وحفر في زاويتها وما زال يبكي... هَمَّ بدفنِه، عانقت يد الطفل إبهامَ أبيه، حاول التخلص منها وهو ينتحب كالطفل، فلم يفلح في فك يدِه، وجد أمامه منجلًا مغروسًا في الحائط... قَطع يد الطفل مترددًا، ظلت هناك تحتضن إبهامَه! أخذ يئن وتصطك أسنانه ويرتعد، خرج وترك إبهامَه مع الطفل... وصار أبو وزة... منذ ذلك اليوم... أبو كفّة!

[6]
حبّة زرقا

عاد مِن عمله وقد أرخى كتفيه، وبرزت فقراته تكاد تخترق عنقه، كان طويلًا له "قفا" طويل، ربما استطال إثر بطشِ أكفّ الزمن به، وصل الأربعين لكنه لم يبلغ أشدّه، أو أنه قد بلغه وهو لا يدري. انزلق من عتبة المنزل مع انسلال آخر نور من النهار.

قابلته زوجته نرجس بقميصٍ موشّى بقلوب تخترقها سهام، كانت عاديّة مِن ذاك النوع الذي تراه فلا تجرؤ على تزكيته أو نعتِه بالقبيح، لها قوام مربوع طولًا وعرضًا؛ مِما كدّس طبقاتٍ من الشحوم تتدثر بطبقةٍ قمحية أقرب للسمَار من الجلد، وعلى الرغم من ذلك كانت تعتدّ بنفسها، و"الأنا" تبلغ عندها مبلغًا. قابلته بنظرةٍ متفحصة مدققة ومتحفزة أيضًا سائلةً إياه :"حجزت عند الدكتور يا إبراهيم؟" رفع

جبهته التي كادت تلامس ركبتيه إرهاقًا، وقال في إعياء: "أيوه" ألقت عليه سؤالًا آخر، كما تلقي حجرًا: "أنهِي فيهم؟ دكتور الغضاريف ولا اسم الله الذكورة يا راجلي؟" قالتها وقد شكّلت قوسًا بسبّابتها وإبهامها، قوسًا سوّرت به جانب وجهها.

ردّ إبراهيم، وعيناه بين فخذيه: "الاتنين يا نرجس" "طيّب يا خويا" ثم مصمصت شفتيها وهي تقول: "ربنا يشفيك" ثم أعقبت في بخلٍ واستخسار: "تاكل؟" شَذرها إبراهيم بطرف عينِه، وراح يعتمل برأسه سيناريو رفضِه للطعام، ووجد أنه سينتهي به إلى نظرة سخطٍ وسخريةٍ واحتقار ودمدمات لن تنتهي حتى تنام، "نام... نامت عليك حيطة، خسارة فيك اللقمة، أقله يوم الخميس يا بعيد، يسمّم جِتتك زي ما سمّمت عيشتي"، وتلميحات لا تنتهي، فما كان منه إلا أن حاول تصدير جاهزيته واستعداده لرجرجةٍ لا تنتهي إلا مع طلوع الفجر.

تَصنّع احتياجه للخروج لقضاء بعض المصالح، تكون هي قد انتهت من إعداد الطعام، رَمقته بنظرةٍ كاشفةٍ خبيرةٍ بما يكتنفه ذاك الخروج: "زي بعضه" قالتها بنصف ابتسامة.

خرج ابراهيم صوب السوق قاصدًا صيدلية د. حمدي، فإذا هو غير موجود، أخذ يروح ويجيء أمام الصيدلية مفتعلًا مكالمة هاتفية مع أحدِهم، وبين فينةٍ وأخرى يسترق النظر إلى داخل الصيدلية، علّه بالداخل يعدّ شايًا أو قهوة، عساه يحقن إحداهن، أخذ يبرر عدم وجوده مستبعِدًا أنه لم يأتِ اليوم، لا سيما أنه الخميس، موسم الفروسية ! كانت تقف على الجانب الآخر سيدة في العقد الثالث، في الأغلب، لها نظرةٌ جادة، وملامح حادة... ولمّا أرهقه السير قرر أن يدخل ويسأل، ما المانع مِن السؤال؟ وبخطى مترددةٍ دخل الصيدلية، وأجال بنظره في الموجودين، فإذا بهم كثر، ومِن أعمارٍ مختلفة، وفيهم مَن يعرفه، ظل واقفًا يوزع ناظريه بين رفوف الأدوية تارة، وفي الناس تارةً أخرى، وكلما أوشكت الطبيبة على سؤاله تَقهقر وأشار بقضاء حاجةِ غيرِه؛ إذ ليس في عجلةٍ من أمرِه، ولمّا لم تجد بُدا من ذلك إذ انصرف معظم الزبائن، راح يتمتم بحروف مهزوزة، إلى أن باغتته قائلةً بصوتٍ لا يحتمل التردد أثناء الرد: "تحت أمرك؟" "كيس فوّار بعد إذنك" أجابها وهو يزدرد ريقَه، وقد تعرقت جبهته قليلًا وشَحب وجهه.

عاد أدراجه يخالجه السواد الذي سيراه في ليلتِه؛ إذ كان يعتمد على الدكتور حمدي منذ زمن، ليس ضعفًا ولكن ما عاد هناك شغف، وكفّت عيناه عن اشتهائها، فضلًا عن إرهاقه النفسي والعصبي. انزلق داخل البيت، سلّم ولم ترد، صاحت بأن الطعام قد أعِد، ولم يرد، لم تكن تعلم أنه ترك لها العالَم ورأسه على قميص النوم الأحمر!

[7]
هاتف كان يدق منذ قليل

توّةً فارقَ محل عمله غضبانَ، وقد سَرّحوه، شئٌ ما يداعب صدرَه، نسيمٌ عليلٌ بوقتٍ قائظٍ، ورأسٌ محملُ بأُحجيات لا أسئلة، ما العمل؟ وأين؟ العمل والبيت والعيال، ولسان زوجته إذا ما عرفت ما آل إليه اليوم، فتّش بجيبه، حصحص ما به، فقط أزرارَ قمصانٍ وبَكرةً معدنيةً لكَرّ الخيط بماكينته التي يعمل عليها، وتلك الأشياء تلازمه كعملاته المعدنية الفَرط.

أربعيني بفروة رأس عشرينية مهملة متروكة ليده يفركها وقتما شاء وبأي دافع شاء، يفكر، فيفركها. يتحسس حَبة تغيظه بمفرق رأسه، لا تندمل منذ كثير يجهل كم كان!!، ربما لاحظها بعد زواجه بعطيات. عطيات ابنة عمه الكبير الذي مات صغيرًا فحمله أبوه على

تلك الزيجة. تفل بجوار سور المصنع غُصته وسار بطريقه يجهل إلى أين يرتحل! برأسه الدمّل والذي هاج مع اهتياج ما اعتمل بعقله، دُملٌ آخر بل مستعمرة من البثور ينتظرها بحضرة عطيات بعد أن يخبرها بأمر طرده. نفض يده من تلك الأفكارالعالقة بين جمجمته وأظفاره، وتوقف عن مشاغبة الحَبة الأثيرة بمفرق رأسه وزفر وهو يفتش عن سيجارة ينفثها مع ما احتبس من ضجر بصدره، تذكر أنه توقف عن التدخين من مدة! وصل موقف السيارات، انزلق بإحداها، كانت حمراء! وكعادته ينسج حوارًا مع كل شارد ووارد لتزجية بكرة الأفكار التي بعقله والالتهاء، راجيًا بعثرة رتابة طريق ربا على المئتي كيلو. لمَ؟! قالها للسائق المدفون بكرسي السيارة. بطرف عينه استفهم من السائق. -لمَ تلك السيارة حمراء؟! أول مرة أرى سيارة حمراء بالموقف؟ - !نَذر! صاحب السيارة نذرَ أن يذبح ما قدره يكفي لطلاء السيارة.إذا ما أنجب البنت - !بنت؟ تقصد الولد!، لا البنت! فتاة! لديه سبعة أولاد، ويريد بنتا. -لمَ؟! اختنق السائق من إلحاحه، ولكنه بالآخير استطرد على كل حال -وحيد صاحب السيارة ليس له أخوات بنات ولا عمات وأمه وحيدة على ست صبية، وهو رجل عطوف رقيق. تذكر السائل بناته الست! وديك البرابر وحيده، دومًا ما كان يحمل هم

الولد وقد هَلَّ أتي بعد ست ستات!. مر وقت كما يمر بين خاطب ومحبوبته وقد انسلخت الأم لتعد لهما شايًا! استمتع زوج عطيات وراق الحديث للسائق وقد انفرجت ملامحه المحتقنة منذ الصباح.وعادت الحبة لا تستدعي يد الرجل ليهرش بها ولا أفكاره. ساد الصمت لوقت وقد اكتملت حمولة السيارة إلا من واحد. جاءت. إلى أن جاءت هي، فتاة جميلة أشبه بزوجة إبليس المثيرة، عود مفرود ورقبة طويلة وأنف جذبها أحدهم إلى أعلى، فتجلّت فتحاتها بما طلاها بمنعة لافتة جلست بالكرسي الشاغر.

وهمّ السائق بإدارة المفتاح ببطن علبة "الدريكسون" لم يعمل. كرر السائق حتى أوشك على السب واللعن فدارت !دارت كما لو أنها خافت. بصوت خافت قال زوج عطيات لا أجد هاتفي المحمول. -عذرة سأترجل لمحه السائق من بعيد وهو يتقوس، يعصر رقبته وخصره ليطالع الرجل، ونزل الرجل وركب آخر بجوار الفتاة وقد استحسن الظرف الذي أفسح له ليجلس بجوار الجميلة. استقر مكان زوج عطيات ولم يشعر بمن جاورته، كما لو كانت هيكلًا من السراب. لا نفس يخرج من رئتيها ولا ثياب ترفل مع تيار الهواء المقذوف بصحن

السيارة ولا شيء البتة. تلفت زوج عطيات بمحيطه باحثًا عن هاتفه؛ لم يجده عاد للمصنع... ولم يجده !بنجع بأقاصي قِبلي راح عامل المسجد يصدح بالميكروفون بغير وقت الصلاة! انبعث ضوء من بين جنبات الكرسي المتاخم لكرسي الحسناء، واهتزازة تكررت كثيرا، وفتاة لم تكترث رغم كونه مُلاحظا !في خفة التقط الرجل الهاتف وأخرسه، بينما يتلفت بكل اتجاه.

حادث مروع بطريق أسيوط الغربي... هاتفٌ يدق... عابر يرمق ظهرًا فتاة ممشوقة طويلة، لا ترفل في ثيابها ولا تتحرك يداها فقط تسير في تؤدة مخلفة وراءها صرخات مضغومة تنازع، بجوار سيارة طلاها دمُ الركاب وفتات لحمٍ وأشلاء هنا وهنا! هاتف يدق وعابر يرد قائلا في أسىٰ بارد: البقاء لله. (ميكروفون يبتلع كلمات أحدهم ويبتلعه أحدهم: يا عباد الله - وحدوا الله - لا إله إلا الله.. ثم بكى بينما يذكر زوج عطيات؛ إذ كان صديقا له. توفي إلى رحمة الله.. والعزاء على المقابر).

وزوج عطيات يبصق بجوار سور المصنع غصته وأسفه على هاتف كان يدق منذ قليل.

[8]
أقساط الجمعية

كانت تشبه صوتي وأنا أغني في بيت الراحة، وأحببتها. غادرتني كما يغادر أحدهم، فتسأل: متى؟. لمَ؟... سافرتُ مُخلّفًا شُجيرة رزحنا أسفلها، تتعارك أنفَاسُنا حد الاحتراق، وتغوص أيدينا حد الاختراق. تركت ورائي هاتفي جثةً هامدةً على مكتبي الذي لطالما حفرت على عظامه صفحات بِكرْ... لّقْحتُها بما اختلجني نحوها في فراقنا، حيث عاتبتها بليلةٍ بِتّ فيها وقلبي عندها وقد طال الغباء. لم أقوَ على انسلاخها مني ومواجهة الوجوه دون صورتها الراقدة بفؤاد محجريّ، لم أُلقِ التحية، ولم أستهلّ بشوقي لها، بل ثُرتُ عليها وعَنّفتها لتأخرها في سداد الجمعية. ورُحتُ أُهدّ: إنْ لم تدفعي آخر قِسْط؛ سأهاتف خالتي، سأعلِمها بأنكِ تملّصتِ مما عليكِ. أتذكّر ملامحها المندهشة

ذات الابتسامة التي تحاول خنقها. وردّت في محاولة جادة لتبدو جادة: جمعية إيه؟. قالتها وهي ترتكز بكفّها الرقيقة الصغيرة وأظفارها المُشذّبة النقية والمَطلية بورد بلدي. قلّبتُ عضلات عينَي، وبربشت في أقل مما يُلاحظ، ورددتها في تُؤدة وحروف دافئة: قسط جمعية الأيام الحلوة، أمّا ما عليكِ فكثير... فمنذ أن تجافينا، جَف ريقك الذي بفمي، وزال عطرك من يدي، ورحتِ تتسكعين بصدري كأطفال بشارعنا وقت قيلولةٍ يركلون جمجمتي، لا الكرة. اشرَأبت ودنت بعدما تلفّتت وجذبتني مِن ياقتي وخلّفنا الدنيا وراءنا، وانزوينا خلف باب عِمارتهم، كانت ساحرة ككل القصيرات، وصفحة وجهها تبْتَل بماء القبول، تركت لي ما روى عطشي، وهدأتْ الكرة التي كانت تتسكع بصدري. كانت هِي هِي. وهِي رحلت دون ترك نسخةٍ منها، غادرتني حين آن الآوان. لتشاركني سَبّ الصبية الذين يركلون جمجمتي، لا الكرة، بينما تمتزج أنفاسنا حد الاحتراق وأضمّها لصدري حد الامتزاج، وتغوص يدي بكُرتيها حد الاختراق، فسافرت وخلفت شجيرة، ومكتبا، وهاتفي... وأيام أخَذَتها معها. ولم أستطع الشكوى لخالتي عن أقساط الجمعية.

[9]
اختبار حمْل

لا أعلم حقيقة ما العلاقة بين يوم الجمعة واختبار الحمْل؟ هاتفتني سيدة في جدية تودّ إجراء تحليل... فهبطت الدرَج سريعًا؛ إذ إني أسكن في البناية نفسها، لِما وجدته في صوتها من إلحاح... كانتا اثنتين، ثلاثينية ترتدي حلة قطيفة، ورسغاها ينوءان بما فيهما من مشغولاتٍ ذهبية، وأختها "وداد"، أيضًا بدا عليها العز، ولكنها كانت تفرك أصابعها توترًا وقلقًا. "نحتاج إلى اختبار حمل".

جلست وشرعت في سحْب العيّنة، وأخذت تقول دون سؤالٍ مني؛ فأنا أتعامل مع مرضاي برسمية موظفي الحكومة وجفائهم. "زوجي سيسافر اليوم إلى الخليج، ولن يعود قبل عامين ونصف، وها أنذا أتعالج بالمنشطات منذ عام ونصف" استقرت مكانها، ولم يبدُ عليها

علامات رهاب الإبرة "المحقن"، علّها تعودت أو أن قلقها لِما هو أهم أنساها. قاطَعَتنا دقات متتابعة لجرس المعمل، زائر جديد... اتضح أنها زائرة، وما إن لمَحَتها "وداد" حتى اغتم وجهها، ثم أطرقت زافرة وهي تحوقل اغتياظًا، وبما أني أعامل المرضَى بجفاءٍ ورتابة، ولا يعنيني غير العيّنة، رحت أسألها: "لِم؟ لِم تقلّص وجهك واغتممتِ؟" "إنها أخت زوجي" فتبسمتُ ابتسامةَ مَن يشعر بالغباء، ثم قالت هامسة شاهقة برأسها صوبي. "ولا أريدها أن تعرف شيئًا؛ حتى لا تشمت بي أو تحسدني" أكّدت لي ألا أخبرها بالنتيجة. قامت وجلست مكانها، ست أبوها إبراهيم، والتي وطأت قدمها أرض الأربعي، في جلباب ساترٍ منيع، أدكن اللون، وهامةٍ منتصبة، وأنفٍ أبيّ.

فرغتُ منها هي الأخرى، وقد سألتني عن "وداد" فأجبتها أنها تجري اختباراتٍ معملية لكلية الشرطة، فابتسمت ثم استرسلت "أريد اختبار حمل" غِبت عنهما كما يغيب في المرحاض مَن يعاني انتفاخًا بعد عشاءٍ دسم، ثم خرجت ووِجهتي حجرة الطباعة، فقابلتني "وداد" بنظرة ترقبٍ متوجسة. لحقت بي، فباغتها بابتسامة مهنئة، والتي على فورها قابلتني بعينين تهطلان دموعًا بطعم الفرح، وراحت تتقافز شاهقة

بذراعيها من فرط السعادة، وأسهبت في شكري، كما لو كنت أنا مَن فعلها، غمغمت قائلًا: "على مهلك، ستسمع ست أبوها" صاحت أختها الكبرى كنوع من الاستئذان لتدخل. فقابلتها "وداد" وقد انهارت باكية محتضنة إياها، فردّت الأخت بالزغاريد... أمّا أنا فلم أخبر ست أبوها وأخت زوجها بالنتيجة؛ إذ إني أتعامل مع المرضى برسمية موظفي الحكومة وجفائهم.

[10]
حلّتين نحاس

مرض ابني في ذيل الشهر، أيام التغريق، والعتمة تزاحم النور، حينها سمعت صراخه وأنا أحلب الجاموسة في آخر الدوار، كان صراخًا خافتًا، سمِعه قلبي قبل أن ينسكب في أذنَي. مربوعة... ذابلة أنا، منهَكة أيضًا، توّةً خرجت مِن حُمّى النفاس.

جَنبتُ صحفة الحليب عن طريقي، وهرولت مثخنةً بالألم. وقد خَط الدم طريقه نحو كعبي، أنزف... أنزف، قضمت خطواتي الواسعة، وبالكاد تعلقت بكتف باب غرفة نومي، لم أجد قطنًا، مزقت وسادة بأظفاري التي خمّرها التوتر والاستعجال. هاتفٌ في رأسي "الواد يا رابحة... الواد يا بِت". سَددت الماسورة، وفي غمضة عين كانت

يداي ترتعشان على جبهة طفلي عامر: "ده بيبُخّ حَمْ... الواد هيروح منك يا رابحة... كان بدري عليك ياخويا".

رحت أغمغِم في الوقت الذي أرتدي فيه جلبابي الأسود وطرحتي السوداء، وكذا شبشب الخروج "الموريتان"، "علام... إنت فين يا علام؟" أخذتني قدماي نحو النادي خارج البلد، حيث الظلام يلفّني وبرد سموم يغرق فيه الطريق، وصلت الملعب، وبالكاد تعرّفته إذ كانوا يلعبون على ضوء القمر. -علاااام.. علاااام... الواد تعبان. انتبه بعد وقت، متثاقلًا خطا نحوي، ونافرًا كما فرسٍ حَرون: ايه يا رابحة؟! فيه إيه الواد؟ - تعبان يا خويا، بيرعش ومِزرق وعنده حَمْ. - غوري دلوقتي حَمّيه بمَيّه وبُكرا نودّيه العيادة الكبيرة. -يا دي الزهرة على عيشتي... الواد بيموت يا علام! - يا وليّه سِدّي بقك... أنا بالعب على خمسة جنيه بحالها، والفورة لسّه بادئة، ارجعي البيت... قالها علام وانصرفتُ أدعو عليه، يختلط دعائي بدموعٍ حارقة، شعرت بأن ظهري عارٍ، وأنني أهوي فوق ركام الجدار الذي قد انهار توا وصلت بيتي وأنا ألهث، وقطنتي تَنز من فرط النزيف، وظهري في فم كلب.

مرقتُ مِن أمام جارتي سامية، غرقت في حرجي وأنا أقول لها: "أم محمد محتاجة خمسة جنيه سلف؟" قالت سامية البيضاء التي تشوبها حمرة، وشامات كثيرة، ووجه ممتلئ بَض، وصوت حانٍ: "مِن عنيّا حاضر يا رابحة... -الواد... الواد بيروح مني يا سامية. -طب وأبوه فين اللي ينكوي؟ -أبوه؟ قلتها ورأسي متوسّدة قفصي الصدري مثقلَة بالخذلان. -أبوه طلع يوميّة ولسّه مجاش. -طيّب أنا جايّة معاكي وصلت للعيادة الكبيرة سيرًا خالَطته هرولة تشتد مع كل صرخة لعامر، حاملةً إياه فوق رأسي بداخل حَلّتين قررتا مرافقتي لدكان النحاس.

[11]
رَد سجون

خَرجتُ من السجن توّةً، لم يكن سجنًا، اتضح أنه حجز استيفا... أمَرّ من أن يُسجَن أحدهم، أو أن يُحتجَز فيه! خرجت مِن بوابةٍ تجثو تحت قدميها كل الأبواب، رَقّطها الهرم بِنُدفٍ تبعث على الوحشة، غمغمت قائلًا، لقد كذبوا عليّ وهُم يصدرون شعور مَن خرجوا للشوارع بعد حَبسهم في كثير من الأفلام، حيث ترتعش ملامحههم من برد الفرحة. أنا لم أبتسم، خرجت ناقمًا مكفهر الوجه، لي غروب فلاةٍ يستغلق على العين مدُّ شعاعِها لمنتهاها... خرجت أتنفس هواءً مغايرًا، لطالما افتقدته، ولطالما لم أشعر بوجوده.

أُجيل بصري بين المارة وأستقي مِن أعينهم كيف تَعاطوا مع أمر سجني، بل حَجزي... حجزي لأسبوعين، هرِمت فيهم عقدين وسنين كبيسة. تشاجرت كما يتشاجر الجميع، ونزفت كما ينزف الجميع،

وقاتلت كما يقاتل اليائس، فقهرته وأصبته... بيْدَ أن مشاجرتي لم تنتهِ ككل المشاجرات، لم يأتِ ذلك البعيد الذي يُفرّق بيننا ويهدّئ المسائل... بل صادف مرور فُنطاس مطافي، آخر المعنيين بالأمر.

صفّدنا، ولأول مرة تَذوق يدي الأساور... تضاءلتُ حد الانكماش. دَفعنا أمامهما جنديان يتحيّنان موعد انقضاء خدمة "الشِنْجي" ليلحقا بقطار قشّاش ليقِلّهما لنقطةٍ عمياءَ بمصر، النوبة... فَعلا بكل امتهان وضيق وزفير، ألهبا ظهرينا.

دخلت الحجز، بل زجّوا بنا فيه، واكتشفت أن هناك كائناتٍ أخرى لا تشبه الناس. وجوهٌ كالحة، وعرق مالح تَفَصد على الجبين، ومُقَل غائرة، وهالات موحِشة تؤطر الجفون في لوحاتٍ صفراءَ ذابلة، وأنوفٌ نافرة، كما خيول عربية بمضمار... ومدقّات بالوجوه، وكثير من البثور كما الأكَمَة. ألسنةٌ زرقاء، وشفاه قاتمة، وبؤس وحرمان... استنفارٌ وخنوع. وجوهٌ لبشرٍ حَملوا فقط الأمانة ولم يدخلوا الجنة، بل قد قامت قيامتهم وها هم اولاء يُحاسَبون.

عَلقمٌ طعم الدنيا بفمي، ازدردت خيبتَهم التي لحقت بي وَوُشمت بما جُبلوا عليه، "رد سجون". عرفتُ مع خروجي طعم سريري، ووسادتي المقرحة، وكرتونتي التي أضع بها ملابس قد اعتزلت الغرام وأبت معانقة جسدي؛ إذ ضاقت، وقد حشاني الهمّ لا الدهن. افتقدت

كُتبي التي تفترش بلاط حجرتي بالسطوح، استوحشت رائحتها ونسيت كيف هو ملمسها. أدركت أن لباب حُجرتي، الذي يفضح أكثر مما يستر، أكثرَ من كون نصفه مِن الصفيح، ونصف مِن الورق المقوّى، بيْدَ أن مزلاجه تحت إمرتي... وكذا مِرآتي التي شاخت وأكَلَها النَمش والبثور السوداء.

افتقدت قميصي اليتيم الذي أملكه، هندامي في المناسبات. أي نعم مَر عليه بالخدمة ثلاث سنوات، لكنه ما يزال يكرمني إذا ما وطأته مكواة. وبينما أنا بالتاكسِي، لم أنتبه لمذياع السيارة كعهد كل مذياع بي إذا ما صادف أُذني.

كان نِنّا عينَي يرتعشان ريبة، يعالجان كل مارٍ، هل يرتدي زي شرطة؟! ذاك الأسود الميت الخانق للأمان برئتَي. تغيرت نظرتي خشيةَ أن أجد أحدهم يستوقف السيارة ويسألني عن كُنهي. مَن أكون، فأضطر لأقول إني غادرت توّةً السجن، أقصد "حجز الاستيفا". أو أجده يُخرِج لي إذنًا من النائب العام بأني مطلوب في جريمة قتل، وقد دعست خُنفسةً وهي تجتاز الطريق برفقة باقة وردٍ جلبتها لحبيبها خنفوس منذ سبع سنوات وشهرين ويومٍ وساعتين !صرت هَشًا! وأنا الذي بدأت يومي بلكز صاحب العمارة إذ لام عليّ تأخري في دفع الإيجار، وصفعت سائق السيارة الذي أرجأ ترجّلي لِما بعد المصلحة حيث أعمل بمئة متر.

فضلًا عن كوني اشتبكت مع عميلٍ شكاني عندما أُلبّي نداء الطبيعة، فاشتبكت معه كما يشتبك الجميع، ونزفت كما ينزف الجميع، وسببته وأصبته بعدما قهرته. تعرقلنا بفُنطاس مطافي، فذهبت مصفدًا... وتِلكم الأولى التي ذاق فيها معصمي طعم الأساور... الأساور التي وصمَتني بـ "رد سجون".

[12]
ولم أغرد بعدها قطّ

أكلت لحمًا مصعوقًا في صباي، وما أن استقرت اللقمة، وغمرك أيا معدتي الرضا، محمولًا على أكُف الشَبع، فضلا عن كونه (هُبَر) لا مُنْيبات، حتى ارتشقت كلمة أمي لأبي: "حلوة اللحمة". ومن كان يدير ظهره يبحث في صندوق الملابس، مُتكئًا على حرف كرتونة التلاجة، وقد استمرّت في الشقاء حتى بعدما خلعتها الثلاجة: "طبعًا حلوة" وقد اتكأ على حائِطها، واسترسل في استنصاح، محاولًا انتزاع الثناء من أمي... سناءْ: "سنأكُلُ منها كل مساء... فقط لو تشاء يا أبيض يا عِرسْيّ" تجمدت أُمي القليلة، الخفيفة... وتجهمت وتساءلت عيناها: "كيف ومن أين يا عديم اللباس؟" ضحك الرجل... ضحك أبي، وهو يقول: "من المجزر إياه، هم نعم... من يبيعون الماشية المعطوبة".

خبطت أمي على صدرها بل قفصها... كانت كما الجريدة. هكذا يناديها أبي (عديم اللباس) كما تزعم. رغم كونها هي من تَرفُؤُ لباسه منذ عام وبضعة بعضه. "أيا جريدة كم أود رؤيتك كشجرة بلوط". كان شاعرًا أبي دون أن يعلم... ضحكت أُمي خفيفة الظل متجردة من كل شحم وانطفأت نارها... وهدأ الفحم.

مررت الأمر، ولم أمرره، أسرعت للخلاء لا المرحاض. لم يكن لدينا مرحاض كما المراحيض. فقط في ذيل البيت بهو واسع، تتكون في بطنه عدة فِراخ وديك البرابر، وستارة كانت في غابر الزمان ملاية سرير. توبرت... تفتلت... تفسخت، وزاعت، واتسّع الخرقُ على الراقع، فحلت محل باب الحمام بل(الكبانيه) كما أسماه أبي. وبرميل من الصاج، هو كل ما نعرف عن الصرف الصحي. يبطن بملح... كثير من الملح... حصى الملح، ليمتصَّ ما يسيل، ومن ثَمّ يُرجئُ البرميلُ صُراخه لما يختنق إلى أمد مضاعف، وتكلفة تفريغ أقل. قال أبي. هرولت نحوه وأبعدت الستارة وتقيأت، ثمّ نظرت إلى السماء وأنا أقول: "تلك لحمة حرمها الله".

نمت ليلتي بكوة منزوية، جدرانها ثلاثة، حائط يتعشق بحائط، وملاية سرير... تفتلت اهترأت... تنسّلت. تناسلت بنات أفكاري، فيما أسمع شخير أمي الرقيق، وأزيز أبي من أثر (الجُوزة) وغبت في غدٍ وصبيحة غَدْ.. "لم أدفع المصاريف، وها هو الترم الثاني ولّانا دُبرهُ، سيزعق علينا بالطابور يارب. سأهان يارب" رحت أهمس، وأزيز

لُعاب الإذعان يُزاحم مناجاتي. "يا ستير لا تكشف ظهري... يا جميل الستر سأتأذّى ولا طاقة لي به. لُطفك صاحب اللطف".

إلى أن نمت، لا أعلم كيف كان الأمر. فقط وجدتني أستيقظ كما أفعل بفجر كل يوم جديد. توضأت من حنفية نحاسية، لا تقذف بحوض، بل طست من الصاج الصديئ المضعضع، كما قَرصات زوج الأب لطفل نمرود، يفترش الطستُ أرضية البيت، ترابية اللون والعجين هي أرضية البيت. ومايتسرب خارج الطست أكثر من أن نُنكره.

كانت المياه (مرصرصة) في عز (طوبة) وقد تقشف ظاهر يديّ. وتشققت وزاعت واخشوشنت، وتورمت يدُ الهزيل. لطالما آلمتني. "في سبيلك يا رب... فكلٌ يهون "كنت أُعزي نفسي، هرولت نحو المسجد في ليلٍ أعمى وأرض وَحْلّىٰ. وردائي الخفيف. دائمًا ما يقول أبي": إن الشتاء بنواحينا تكفيه من ثمان لتسع طبقات من الجلد، سبعة رباني-وفانلة بحملات وجلابية". "لمَ، لمَ البعزقة دي؟". ترفسه أمي مادحة، وبمواراة خبيثة: "ورِيُّ اللحم أم رِيُ نجفة ياعديم اللباس؟ "اللباسُ قد مددته أسفل الكِليم الذي أرقد عليه، ارتديته على عجَل... يخامرني حدس سيء، وقلب يرجُف... ويدٌ - رغم الصقيع - ترشح عرقًا، وشفاة أقرب إلى الزُرقة، وأنفٌ مُدممة متضرجة بلون الزُكام... أنف يقطر من حين إلى آخر، ولسان لاهث بالذكر وأوراد الصباح، طوال الطريق أقتلها تكرارًا. وصلت، أنخت كتفي، وأسكنت حقيبتي العجوز بين ساقيّ، والتزمت سكوني، واختشى ظلي حد أن بهت، فتلاشىٰ.

اعتلى مُدرسُ الألعاب طبلية الحكم. بدأ، فنبدأ. سكن، فنسكن. صفا هي صفا، وانتباه، يجدنا كما الأوتاد. الأكُف نكاد نفقدها وتنفصل من فرط جحود طوبة، وبيد الرجل البدين المرصوص... غُصن زيتون يافع، تنتشر بمداه دمامل قاسية كما أسنة الرماح، وراحة يد... مُبالغٌ فيها.

أخذ البرنامج اليومي في البدء. استهل المدرس بآيات من الذكر الحكيم، كان منها (ولكن ليطمئن قلبي). استشرفت باسمًا إذ توقفت عند الآي الكريمة، وأخذت أغمغم شاكرًا، وعيناي معلقتان بالأعلى... هناك. انتبه إلي، ولقمت أذناه بغبغتي، ونالت الدمامل من كفوفي ما نالت، وصرَخ باطن يدي لما لفحه غصن الزيتون، صَمتُ... لم أشق فمي بحرف حتى آخر اليوم. ومر اليوم ولم يزعق علينا نحن المتخلفين، المتخلفون عن سداد دين المدرسة، ومع الانصراف بهرجه ومرجه وجلجلة أجراسه بالصدور كرفرفة الحمام، زعق عاليًا... من أعلى طبلية الإذاعة: فليتوقف كُل من... كيت ونطاط الحيط، وأنا وآخرون يشبهون هيئتي. وغردت صدور الصبية بينما الباب يفتح ذراعيه ليُودعُ، وفتحت أنا ساقي ليقف عليهما زميلي حتى أسقط ونتبادل المصائر، وكال لنا السُباب والهمز واللمز بينما يتقاطر العيال، أما غصن الزيتون الذي امتد من كوة بزاوية الباب حتى استقر بخصاص بضلفته، وتقف عليه حمامة تغرد .....

ولم أغرد بعدها قط

[13]
قضية رأي عام

انتصب واقفًا مذعورًا بعدما استيقظ على صوت أذان الظهر، انتبه إلى موعد القطار الذي أوشك على الرحيل... راح يغمغم "القطر يا ولاد... القطر... الجيش يا ولاد الكلب... الجيش... الحبس يا واكل ناسك... الحبس". في وقتٍ قياسي، وجسدٍ خفيف، كان في الشارع في خمس دقائق، بينه وبين القطار خمس عشرة دقيقة عدْوًا، إذ إنه قد أفلس منذ يومين! أمّا الوقت المتبقي لتحرك القطار فعشر دقائقَ بالتمام، ولكنه وصل ببطنٍ خاوٍ، وجسدٍ مرهَق، وعرق شاحب... وصل. تَحرك القطار وظِلُّ على الرصيف، لحق الظل القطار، وتَخلّف الجسد المعتل. ركع زافرًا مع فقدان الأمل في ثلاث وجبات، فضلًا عن الحبس الانفرادي الذي ينتظره، تلك الأيام التي تشبه أيام أجازتِه!

عاد مَرخيّ الهامة، شاعرًا باليأس والجوع... مرت ساعتان وتنامى إلى سمعِه ما حدث لقطارَي سوهاج! عدا نحو المقهى في هندامِه المهلهل... راحت مذيعة حسناء لها شامة تستقر أعلى خدها، أخذت لُبّه، تقول في حزنٍ مصطنعٍ جاف... "هذا وقد وافتنا مراسلتنا بمدينة سوهاج عن حدوث اصطدام قطار يحمل رقم ٢٠١١ والجدير بالذكر أنه حديث ومَجري الصنع، وقد امتطى قطارًا قادمًا من الجنوب يحمل رقم ١٥٧ مميّز، يحمل جنودًا وموظفين ومَرضى وكم من آخرين... وقد خلّف الاصطدام خسارة فادحة في مقدمة القطار المَجري وعربة التحكم، أمّا السائق فقد قفز قبيل الاشتباك. وا..... وا..... كما أن هناك بعض الإصابات بالمئات، وبعض القتلى في القطار الجنوبي". قالتها قضاء واجب !شُدِه، وفغر فمه، وسال لعابه، وازدرد ما بقي من ريقه، وضرب كفًا بكف... "كنت هاموت النهارده... حكمتك يا رب "!عاد لحجرته شاعرًا بأنه مبروك وسِره باتع ومحظوظ. وبينما يتكئ بيده على الدرابزين، استدرك أن هناك أمرًا مهمًا قد قيل أثناء شروده ونشوته لكونه قد نَجا.. "تعويض... ده في تعويض!" وقف متحجر العين كاتمًا نفَسه... مستدعيًا ما سمع مرةً أخرى قالت الحلوة بالحرف: "هذا... وقد أعلنت الرئاسة صرف تعويض وقدره مئة ألف

للمتوفّىٰ، وخمسون ألفًا للمصاب، تقِل وفقًا لدرجة الإصابة، كما تزيد في حالة العاهة المستديمة إلى خمسة وسبعين ألف جنيه "دارت النقود في رأسه، واشتمّها بروحه، واجتَر كل بؤسٍ مَر به... ارتدى سريعًا ملابسه الميري... جرى بكل ما لوهنِه من قوة... استقل مؤخرة فُنطاس بترول... وصل إلى مؤخرة القطار، تلفّت حوله... حَدد بؤرة الاصطدام، ثم أهال على نفسه التراب، وجد بداخل عربةٍ مهشمة تملأها العَفَرة قضيب حديدٍ مشطورًا يتأرجح... أخذ نفَسًا عميقًا، أمسك القضيب، أعمله في جبهته وعينِه اليسرى وهو يقول "هيبقى فقر وسجن، ولا عاهة ومرتب وتعويض كمان!؟ "تَردد... بحلقَ... ابتلع خوفًا مُرًا أغمض عينيه... مزق جبهته... واخترق السيخ محجرَه الأيسر، والعين الأخرى تبكي على أختها المغدورة. انتشلوه، سَجلوه مِن الضحايا.

[14]
دَكَر الوز

دخلتْ إلى المعمل يوم السبت الماضي مطأطئة الرأس، ترتدي جلبابًا يفوح منه العوز، كانت بدينة، وخَط الشيب خطوطه على صفحة وجهها، وكذا تناثر شعرٌ أبيض مِن تحت خمارها المتقهقر للخلف، تمسِك في يدٍ ورقة تحاليل قد اصطبغت حوافها ببعض الوسخ، وتقبض بالأخرى على طفل في السابعة على ما يبدو، له وجه أصفر، ومقلتان منتفختان مرضًا، ومحجرا عينين غالب بياضِهما صُفرة.

أعطتني الورقة دون أن تتفوه، أعطتها بتردد، عالجتها فإذا بها لا تستحق كل ذلك العجز البادي حتى في شهيقها وزفيرها الخافتين. نطقت بتهدج: "عاوزه أعمل التحاليل دي لابني" فرددت متوددًا: "اتفضلي، بسيطة، دي وظايف كِلى وبول وزلال، والنتيجة بعد

ساعتين" "طيّب هاستسمحك تحاسبني لمّا استلم النتيجة" قالت ثم خفتَ صوتها وتَوزع حزنًا بين حروفها، وانحنت هامتها وهي تدمدم "أكون بِعت دَكر الوز".

رغم خفوت صوتها، هزمني ما قالته، وشعرت بأسىً نحوَها، وساعدتها بقدر استطاعتي، وبما لم يمثل عبئًا عليها، ظننتُ كذلك... ورحت أفكر في حياة تلك المرأة وظروف مرض ابنِها الذي اتضح أنه مريض فشل كلوي !سلّمتها النتيجة، وأرجأت الحساب حالمَا تتحسن الظروف، وودّعتها بابتسامةٍ امتزجت بها الشفقة. ثم تفاجأت بها اليوم تخرج مِن عيادة الجلدية والتجميل، يكاد وجهها ينفجر من الاحمرار، فلمّا تقصّيت علِمت أنها خضعت لجلسة تجميل، تكلفتها مئتان وخمسون جنيهًا، فصرخت عليها في سخط: "يا ديل العصفور يا محنّي، أنا عاوز فلوسي" فإذا بعينيها وحاجبيها تقول: "مش سمعاك من الدي جي!"

[15]
زارتني الليلة

أكتب عنها؛ راجيا أن يرتاح قلبي، أذنبتُ في حقها، قُطيطة غادرتها أُمها أو علها أُجبرت. وجدتُها ترتعش بجوار دَرَجْ العمارة حيث أسكن وأعمل... هزيلة منهكة، ترتعد خوفًا مع كل قدم تمرق من أمامها، بعدما تقاذفها أطفال بالشارع فيما بينهم، تارةً من ذيلها، وأخرى من رقبتها يصحبها مواء خافت يحمل الألم والرعب بداخله. أخذتُها... دثرتُها، واشتريتُ لها ما تيسّر مما قد تستسيغه، ويدفئ معدتها من برد الجوع كما تركت لها ماءً، وأغلقت عليها المعمل بصحبة قطة فتية في مرحلة المراهقة قد وجدتها قبل أسبوع.

ظننت أن القطة الفتاة ستؤيها إلى حضنها وسيقطعان وحشة الليل بالأنس والاستئناس، ولمّا نزلت المعمل صبيحة اليوم التالي وفي ظني

أني سأجد الكبيرة تلاعب الصغيرة، وجدت أنها فقأت عينيها وأدمت أنفها. استغرقت في الأسف عليها، والندم على ما أقدمت، وقد آذيتها من حيث أردت النَفَع. ظللت مغمومًا طوال اليوم. فتلك التي كانت تأكل بالشارع عادت لا تستطيع بلع الماء.

جلبت سرنجة وحقنت الماء بفمها علها تستجيب. استجابت، فارتويت أنا، وخفّت وطأة الذنب الذي يلاحقني... فعلت مرّة بعد مرّة، ونظفتها مما علق بدبرها، وسال من أنفها، وتجمّع حول عينيها المتورمتين، وقلبي يعتصر لما آلت إليه الأمور، وسّدتُها ولففتها بالمتاح، وبما يكفي لجلب الدفء، وعاودتها بالماء بين فينة وأخرى، كانت تجاهد لابتلاع قطرات المياه غبت عنها قليلًا، بصحبة صديقي المطولي ورواية (نصف شمس صفراء ل تشيماماندا نجوزي) النيجيرية والتي تحكي عن مجاعات بدول إفريقية، وللمفارقة استلقت على الغلاف شريحة لانشون لم تذقها القطة ولا أطفال إفريقيا، وماتت القطة فاغرة فاها،لعلها كانت ترغب في بعض الماء ولم تستطع المواء إذ شقت القطة اليافعة فمها! ليتني تركتها للشارع ورب الشارع. تذكرتها الليلة.

أغرقتني من جديد فيما آلت إليه الأمور. حزنت على ما لاقت ليلتها، وأنا الذي أسلمتها لكل ذلك الرعب، حيث لا إضاءة بالمعمل. ولا باب لم يُسْكْر. وصمت قتل الحياة في الغرفة... إلّا من قطة يافعة جائعة وقطعة لانشنون قبعت بها رواية... رواية تحكي الجوع وما للجوع. فهريرة هزيلة وقطة شابة، من الوارد أن تكون قد (زنقها) قط بلدي يومًا ما في الخرابة. وقطعة لانشون وفقاعة من العتمة تخنق كل بصيص وتسدّ كل ثغر. ففقأت عينيها، وبالمقابل اقتلعت الهُريرة شَعرة من شاربها، كانت عالقة بين مخلبين لهُريرة تركتها، ولم تأكل اللانشون، ولم تنم، ولم تلعب مع أختٍ لها. قطيطة أبوها الشارع، وقطة كانت بالخرابة. خراب بداخلي إذْ تذكرتُها.

[16]
الزلَعة

كانت البيوت مِن طين، وأسقفها منخفضة معروشة بجريد وسعف نخيل متداخل، تكسوه طبقة من طينٍ امتزج بقش الرز. كانت زينب تجلس في غرفة في ذيل المنزل، تطل على نهاية دهليز مكتنز وطويل، جدرانه بها طاقات يجثم بها حمَام بلدي، وبعضها الآخر عليه مصاحف مهترئة وبعض أدوات الحياكة، إنارته تبعث على الونَس المرعب، والدفء البارد، والسكينة المزعجة، تتراص السيدات، والأطفال وبعض الرجال المصابين ينتظرون دخولهم على الست زينب تلك، سامقة الطول، بضّة الجسد، محمّرة الخدود، يتدلّى من أذنيها حلَق عيار 24 مخرطة، ولها جبهة عريضة ينسدل عليها على استحياء بعض الخصلات فاحمة اللون كليلٍ خَسف فيه القمر.

كانت تتربع على جِلد نِمسٍ قد اصطاده زوجها حينما يسقي الغيط، وأمامها "زلعة" من الفخار العجيب والقوام الفريد، دقيقة الصنع، لها رقبة كرقبة الغزال، ويبدو عليه أثر الزمن جليًا، ولكنّ قِدَمها ذاك زانها أكثر.

تجلس أمام زينب سيدةٌ في الخمسين، يبدو عليها العياء تقبض زينب على معصمها وقد أغرقت كفّ المريضة في الزلعة الفارغة، وراحت تتمتم بما تستبين منه أنه ليس كلامَ بشَر ولا قرآنا، له وقْع وتصحبه شهقات كثيرة، وارتفاعٌ ثم تمتمة، وضوحٌ ثم غمغمة، كلمات تبعث على الرهبة والرعشة، ولا تمر دقيقة الا قد برَأت المريضة واستردت عافيتها، وتأخذ في المقابل ما يجود به المريض، بعضهم يدفع نِكلة، والبعض يدفع تعريفة مؤرّخة بسنة عشرين بعد المئة التاسعة والألف الميلادية ظلت تفعل ذلك طيلة خمسين سنة، تنوقِل بين الناس أنها مباركة ولكنهم لاحظوا عندما تغيب الزلعة يعز الشفاء، تَنامى ذلك إلى سمْع "عوض" شيخِ المنسر، ذاك الذي ختم الخمسين، وبدأ يتهاوى وتخور قوته، وتتسرب من بين يديه هيبته، فعزمَ على سرقة الزلعة، سرق الزلعة... قتل زينب... تأزّم قلبه فجأة... مات هو الآخر، ونَجَت الزلعة.

[17]
الكانون

تجاوزت الساعة في حق الليل وطعَنته في خصره، عاد رجب مُملمَلًا، يجر خيباتٍ كثيرة وخساراتٍ أكثر، وديونٌ تراكمت فوق ما سَبقها جرّاء لعب الدومينو بغرزة كهرمان الغازية، تلك التي نهكت خرّاط البنات حتى استحالت إلى عمودٍ من البنور الصارخ الملفوف والجمالِ الشرير.

بدأ الأمر مع رجب بسويعاتٍ قضاها ليكسر رتابة يومِه وليلتِه، بعدما مَل تدخين "الجوزة" على مصطبة بيتِه التي عجنت "رمزية" زوجته طينتَها بعرقها ويديها السمراوين النحيلتين.

منذ بضع سنوات قضتها في شظف العيش، وجدران تنشع ضنكًا ورطوبة تحوطهم، لكنها الصابرة، الجاهلة الحكيمة، الصامتة دومًا حد الملل، تحاشيًا من أسنان رجب التي تئز، تصطك، ترتعش، ويسيل منها لعاب ضبعٍ جائعةٍ للافتراس من أجل الافتراس. كان سيء المعشر، قاسي القلب دومًا. في ذاك اليوم دلف مِن بوابة بيتِه الخشبية العتيقة وهو ينفر كمُهرٍ حَرون، يشتبك مع الناموس والهاموش وأعشاش الذباب التي تعلقت بما تَدلى من العريشة من عِصي وبوص. وجد "رمزية" تنزوي في آخر الدهليز يلفّها ضوء "الكُلوب" الذي شاركها في جلستِها حيث تعمل على "برسلة" طاقية فلاحي كادت تنتهي منها ليكتمل عدد الطواقي أربعة، ومِن ثَم تبيعها في السوق وتبتاع ما ينقصها في المنزل... كانت تسهر على الطاقية الواحدة يومًا وليلة، وساعاتٍ من انحناءة ظَهْرِها وإرهاق عينيها.

لملم رجب أطراف جلبابه الصوفي في غضبٍ وهو يقول: "اعملي شاي يا بِت انتي" "حاضر... حاضر يا خويا، مالك كفى الله الشر؟" ردّ زاجرًا إياها: "ماليش... اخلصي... أبو أهلك فـ الأرض".

ابتلعت الإهانة، وعادت أدراجها ووِجهتها "الكانون" لتعدّ الشاي والجوزة. وبينما الكانون يحتضن "غلّاية" الشاي إذ بها تسمع صراخ وليدِها الذي يئن بغرفة نومِها. هرولت نحوَه، تَلقّفته... هدهدته... ألقمَته ثديها حتى نام، وسرعان ما نام، وسرعان ما علا صراخ طفلها العاق الكبير رجب... "الشاي يا مَرَه يا بنت وبنت.." ارتبكت وهي تجري ببراد الشاي نحوَه... دلقت الشاي فهَمّ جارًا إياها من شعرها الغجري، ومسح بها تراب الدهليز، وبيده عصا جافة من خشب الزيتون القاسي... يلفحها وهي تزوم من الألم ولا تنطق، كان صوت العصا إذا ما ارتطمت بجسدها أعلى من زومتِها... ولسان حالها "العيال نايمة ولا تريد أن تزغفهم" استيقظ الابن الأكبر، ابن العشر سنوات، هرول نحو أمّه، لكزه أبوه المخمور بغضبه، فحضن الكانون وجهه... وضيّع ملامحه.

[18]
حالة تعليمية

مع شقشقة الفجر، وفي ضوئه البارد، ارتدى أبي صاحبُ السبعين جلبابَه الرمادي، ودفن رأسه في طاقيته الفلاحية. بدا لي مِن الخلف منتصِب القامة أكثر من المعتاد، أمّا أنا فقد تجهزتُ سريعًا... قفزتُ في "جيبتي الچينز" الفضفاضة، وبلوزتي المضادة لرصاص المتلصصين، نظر إلي أبي مدّعيًا الصَّمْدَ وربتَ على كتفي الذي كاد أن ينافس كتفَه، وقال لي: "إحنا رايحين النهاردة لاجل ما تتعرضي ع الدكتور... وممكن..." ثم صمت قليلًا، وأردف قائلًا وهو يغرب بنظره بعيدًا عني: "ممكن تقلعي هدومك هناك..."

أشعل سيجارته السوبر بلهبٍ يرتعش من برد طوبة، ويدٍ تهتز، أربكَني الخجل والعجز لم أبدِ أي اندهاش... فقط حُمرة الخجل كست

ملامحي أمامها، وسَرت برودة أجهل كنهَها، ومتى وكيف سالت بين خلاياي، حتى نخاعي. رعشةٌ بسيطة طالت أناملي ونظرتُ في الأرض ولم أشقَ فمي بكلمة. وصلنا المستشفى وأبي يغمغم: "يا رب يكون دكتور ابن حلال ويتقي ربنا في جسم البِت".

مررنا من البوابة التي يقف أمامها أفراد الأمن، وقد لاحقتني النظرات رغم أنهم قد عالجوا الأوراق، قال أحدهم عظيم الجثة طويل السالف" :التشخيص: تكيّسات ليفية بارزة بمختلف الجسم.. عرض جراحة". فازدرد أبي ريقه، ونخع جفنه، وطأطأ رأسه. دخلنا... مرقنا مِن أمام المشرحة فانقبض قلبي، كما قبض أبي على كتفي وشَذر الحجرةَ بارتياب. دخلنا مكتب المدير لتوقيع ورقة الموافقة على أنها حالة تعليمية، وذلك ليتسنّى لنا إجراء عملية معقدة كاستئصال وترقيع وتجميل، تَطلّع فينا سكرتير المدير، وشطر سلام أبي عليه بقولِه: "هووس... المدير وراك..." نَحّانا بيدٍ قهقرتنا معًا، وفرش يدَه الأخرى أمام المدير، وقّعنا الأوراق... ثم بعد انتظار ساعة وقّع أبي بالموافقة، ووقّع المدير بالعِلم والمباشَرة. خرجنا، واستلمنا عم محمد فرّاش قاعة "خمسة".

وصلنا القاعة وعيْنَا عم محمد تُمطرنا بنظرات الشفقة، قابَلَنا صدى صوت فخِمٍ رنّان" :يا محمد هات الحالة بسرعة". زَج بنا عم محمد دونما شرحٍ أو إفصاح بداخل القاعة، جذب أبي مِن يده مخلّفًا إياه، ودفع بي للأمام، استلمتني ممرضة خمسينية، فهدأ روعي وارتحت قليلًا... زال التوتر، أشار مِن داخل كرسيّه الشامخ وجسده المتين، ونظم حروفه كلًا على حِدة: "قلّعيها" يا مشيرة، حيث لا ضوء توقن معه بموضع يدك؛ شرعت مشيرة قائلة: "يلّا يا بنتي" وهي مطرِقة هربًا من النظر في وجهي، ساعدتني في خلع ملابسي وسَتَرنا الظلام فلم أشعر أني عارية، ولم تجرفني بعد موجة الخجل وشعوري برخص جسدي. "أضيئي النور" لم يكن طبيبًا... كان مدرّجًا به الدفعة كاملة! صاح الطلبة طالبين استدارتي يُمنةً ويسرة انتهيتُ... عدتُ إلى البيت وحدي!

[19]
وجذب بنطالي خليل

دخل عليَّ المعملَ بعد الليل بليلٍ، كمن يصيح، سمعه ويرمي محجريه بكل جسد المكان حتى أنا طالعني، فعل من جوربي القاتم وحذائي الشبيكة، حتى صلعتي المتحدرة لمقربة من قفاي، قال بأحبال مُهلهلة :محتاج أعمل التحليل ده بلعت ما لاحظته وتبسمت بقسمات أعيتها البسمة، استهلال الموظفين لفتق ثوب الحوار مع العميل،(semen analysis)، سائل منوي مع حالة كما لو علامة استفهام نبت لها رأس؟ رأسٌ يتأرجح حد انتشال شفقتك وغرقك في بركة من الأسى والأسف.

أجلسته... برفق فعلت، وألقيت سيجارتي مُد ذراعي دونما بذل وقتٍ في استهداف مرمى ذيل سيجارتي، متشوق أنا إلى أن أطويه بدقائق محاولًا مشاركته في حمله، ترجل من قطار العشرينيات غزير

بياض شعره كأسنة الرماح حليق الرأس. فيما لا يبدو ظاهر جمجمته أنه يبشر بخير، كما حبة البطاطس المنبعجة تعتريها وهدات نوعًا، نحيفًا أقرب للتكور ربتُّ على لوح كتفهِ على مَهْلٍ، هدهدته وداخلي ناقم، وما إن عرفتُ أن اسمه خليل حتى خرخشت نعال بأرضية المعمل.

اعتمدت سبعينية على جدار المعمل وارتكزت بالأخرى على سيدة، بدت من بعيدٍ سيدة وما إن دنت، رشح بحضرتها عرقي، فتاة... لم تكن سيدة، فتاة... بمعالم سيدة: نهدان يختالان، وخصر معقود... فمبسوط، ونظرات خبيرة واثقة، في رتابة شققت جدار الكلام: تحليل براز يا مدام من الحالة؟ غشيم أنا؟ سبعينية يكاد يلامس منخارها كواحلنا ومُهرة يافعة، لمن إذًا؟ أفهمتها... وعيناي تُعبر للفتاة، خليل لكزني في وهن غاضب، تمطّت شفقتي في كسل ودِعْةْ، وتابعتُ إطنابي في شرح كيف تمدنا بعينة براز.

دخلتا قدما بقدمٍ، وما أن مهدت لخليل طريقًا ليلتمس عذرًا لانشغالي، نجحت وفتلنا معا ثوب دفءٍ حمل الود برفقة الحروف، نحتُ في عقله كيف سيبهرني وينجح في جلب مائه، خرجت (الليدي)، وتمنعت العجوز، مطّت الفتاة شفاهها مستعذرة وقالت بما حدا بي بعيدًا عن خليل... غاية البعد -تلبت أن تكون بمفردها يا دكتوور. اخترقتنا أنا وخليل، وجلست بين أنفاسنا -أَعِدْ؟ قالتها؟ قالتها، الفتاة،

ردت حواجبي الكثة بـ "لمَ؟" وكذا منكباي العريضان زوجته... حرمه... أطرقت وهي تقول: راجلي.

خرجت المسنة كما قوس وبيدها المعروقة في نحول، العينة. استشرفت البسمة ملامحي وأنرت، اقتربتْ... لاحت أمواج صفراء تتهادى بيد العجوز: بول... بول يا أمي حدجتني في رُهاب: خشيتُ أن تنهرني وقد سبقني هذا ونسيت ما تريد يا ولدي كسرت حدتي وهامتي، وقلبي، أجلستها وأعدتُ عليها مرارًا، كيف تلتقط الفريسة كما كانت تلتقط دجاجة ليلة الخميس لأجل ما تعشي الراجل، ضحكت... وأومأت مسرورة، وفعلت والتقطت الفريسة كما التقطت دجاجتها وجاء خليل بعدها بأحد عشر شهرًا، -أحد عشر... خليل؟ ابنك؟ -نعم كنت بالخمسين استدركت سريعًا: لمَ هو على تلك الحالة قاطعتنا زوجته بينما يتضلع صدغها بعارض ما، كانت عِلكتها التي لا تُفارقها على مايبدو: توخُّدْ قالتها كما لو كل حرف بحجر: (خليل مريض بالتوحد) نسيت المُهرة واغتممت... واقفًا استأذنتهم في دقيقتين أخرج فيهما لأُدخن، لم أفعل من قبل، حرقت لُفافتين وجُل الثالثة، وعاودتهم وأنا أوزع عينيّ بينهم، ورحت أقول: هيا يا خليل، رغم كوني لم أفعل قُبلًا ، تبعته للمرحاض ولم تُطأطئ الرأس الفتاة، زوجته غابا... غابا طويلا، ثمّ خرجا... بالنهاية خرجا، وعلبة التحليل لم يُخدش كيسها، تتدلى من بين أسنانه حيث يتشبث بها ويسيل

لعابه، وزوجته تكاد تحمله، مهدهدة مُربتةَ، تؤخر قدمًا وتقرض نصف أخرى حتى أجلسته.

خرجتُ مرة أخرى، ولم أستئذن هذه المرّة، وحرقت تبغًا نسيت معه كم مرة قد استعنت فيها بالكبريت، أخال أن خيالًا مرق من خلفي بينما أدعس سيجارة الكفاف، دخلت، لا أعرف كيف أساعده ليقذف بالعيّنة، صار الخيال رجُلا سيقانه طويلة وظهره مستقيمًا، ورأسه متناغمة.

أشارت بنصف يد: أخي قالت السيدة، ارتبك خليل، رحب بي في تمرس من يجيد المجاملة، دفع تكلفة التحاليل بعد أن قال باقتضاب: ما المطلوب؟ نحيته، وأعدت عليه، أومأ كثيرًا... انبعجت صفحة وجهه بما يُلاحظ، نشق فيما يحاول ابتلاع شاربه المشذب بعناية، وكررَ: مفهوم مفهوم حتى قبضت على زنده ليتوقف، انتبهت للعجوز وهي تزوم، تفعل وقد احتقنت عيناها بحُمرة قانية ضبابية. لم أتوقف كثيرًا. وبالأحرى، سرق ذو الشارب المشذب الحوار، وسكّ بابه، مرّت ساعة واثنتان ثم ثلاث ودلفوا مجددًا.

يلمع بوجه المرأة شامات من البرونز برقبتها وحول ثغرها، زامت العجوز، سلمني ذو الشارب الكث المشذب العينة ، وعنقه ويده بهما أثر من نجمات وشامات تضوي. وجذب بنطالي خلييل

[20]
السمك الذي لم تأكله أمي

أذكر أن أمّي اشتهت سمكًا، في الوقت الذي أتعارك فيه مع الحبل السرّي، أُحاول خنقه برقبتي. لم تأكل أمّي السمك، بلعت الكلمات التي كانت تتقافز على لسانها؛ تودّ الهرب "نفسي في سمك يا علي "اختنقت معدة أمي بالخوف لا السمك. سال لعابها... ومريضٌ أبي، جافاه القرش وأطال الغيبة، تحرّجت أمي فكتمت نار الوَحم بأحشائها.

أفاق أبي... هكذا كما يفزع مَن دهمَته امرأته، تَزغده شاهرةً بوجهه رسالة مِن "كيكي الميكانيكي" مفادها لتنعم بلَيلَة ممهورةٍ بقلبٍ دامٍ مشروخ. دَب النشاط في جسد أبي... عاد للعمل...

تَسلقت رائحة السمك داعستةً جوفها بجهدٍ حثيث، وسرعان ما نفرت خياشيم أمي وقد اشتعلت برائحة سمكة مشوية.

همّت تطلب... مات جدّي !ارتدت الأسود وأهملت الكحل، وأسدلت المصلّاة على التلفاز الأثير... أعلنوا الحداد، بسطت العادة يدها على البيت، ذبحوا الابتسامةَ على مفرق الشفاه، ممنوع المحشي..ممنوع الطبيخ... "نتفضح لو كلنا سمك"... لم تأكل أمي السمك، امتلأت معدتها بالحَرج. سرَق القدر الوقت، ووضعتني أمي بلا سمك. تَحسّستني مرارًا، تدق نظراتها في جسدي باحثةً عن الوَحمة... لم تجد الوحمة، كانت هناك، أقرب ما يكون إلى النظر وقد كست ذاكرتي... ترهقني ليلًا واستيقظ باشّا بوجهك، قد نسيت! أنا لا أطيق خصام أحد، أكره العزلة، أهرب مِن الفراغ الذي يَلفّني، يطويني بداخله، يعتصرني لتخور قواي فيأسرني، يزهدني، يفرّط فيّ، يبيعني لنخاس الحزن السادي، ذاك الذي يدفعني بامتهان خلف قضبان الوحدة الغليظة القاسية الباردة، الخشنة كحراشيف السمك... السمك الذي لم تأكله أمي وقَبع في ذاكرتي. أتذكّر يومًا بشتاءٍ حارق للدفء، مسيلٍ للرشح، محيل أنوف كل الأطفال بفصلي في الابتدائية لكتلٍ من

الالتهاب، شتاء غاضب حاقن للدماء بقرص الشمس يخنق أشعتها، ويطلي السماء بغيومٍ كئيبة قابضةٍ للأنفاس، تنثر غربةً بأرواحنا.

أرتكِز على مقعدٍ خشبي متداعٍ بساعدي الذي يسوّر رأسي المطرِقة، أحاول بها مِن وضعية، تفاديا من أن يتنمّر عليّ أحدهم أو المدرّس لمّا يرى أنفًا صار حنفية تقطر الزكام بانتظام، وأنا لا أملك منديلًا، وقد استهلكت كُمّي حتى الأساور في تجفيف ذاك النهر اللزج المَعيب كما جرت العادة. العادة أطلت بوجهها مرة أخرى، وخشيت أن أعلن عجزي في سد العيا بمنديل ثمنه جنيه ونصف. أبي لم يكن يملك الجنيه والنصف، كان طريح العوز بعدما سَرّحه القدر، استحييت أن أطلب منه، ونَشقت مخاطي كثيرًا كي لا أبدو هبيلًا، كان مُرًا صاحبته غصّة، غصّة كالتي انحشرت في روحي عندما تعامدت العيون عليّ، وامتزجت القهقهات الكريهة، وتدلت السبابات تشير إليّ... خاصمتهم... فارقتهم... تحاشيت من الهواء الذي قد نتقاسمه.

رحل الضيف الثقيل، غار البرد وجف نهر المخاط. وعدتُ أيوبًا بعدما عاد، ونسيت فيما كان الخصام، ولاحت في الأفق مخالب الفراغ، أبيت أن أصالح... انغرستْ في لحم روحي أظفار الفراغ التي

مَلّت جواري، باعتني بالبخس لنخّاس الحزن... وبدورِه "شاطني" خلف قضبان الوحدة، تلك القاسية الباردة، الخشنة كحراشيف السمك... السمك الذي لم تأكله أمّي واحتل ذاكرتي!

[21]
عضم سايل

قطعت أنا وتوأمي طريق العودة من مدرستنا الابتدائية إلى المنزل، الذي يقدر ببضعة كليومترات تقريبا، نجرّ حقائبنا، يغمرنا عرق غزير، عرق ذابل كوجهينا وأنفاس خافتة وعيون غائرة، لم تقلقنا يومًا الامتحانات ولا المراقبون، ولم نذق طعم رهبة تعتري زملاء الصف أمام هيبة سين سؤال، إذ إننا مميزان أخي وأنا... لا سيما أنّا تحصلنا على 171 نقطة في اختبار الذكاء، وقد فُقنا في ذلك تسلا وأينشتاين، ورسبنا في امتحان ينجح فيه حتى دود الأرض، خذلتنا عظامنا الناخرة المتيبسة نوعًا ودمنا المعطوب، نعم شابته العِلة قبل تمييزه حتى عن الماء، أخي وأنا نُعاني خللًا في عوامل التجلط، وتشوّها في الصفائح

الدموية، كما كان لنا إرث حمله أبي... أضمره بخلاياه... حفظه بكوة بعيدة عن النشاط ليصبه برحم أمنا، كان الجذام.

حتى أمي لم تفعل ما يحول بين رحمها وسائل أبي الشائه، في بداية الأمر كانت الأمور تسير كما تفعل مع كل الأطفال، ومع الرابعة صارَ الأمر مغايرًا شيئا فشيئا؛ أنا هادئ الطبع وأخي على الجانب الآخر مني شديد الصخب والإشتباك مع الشارد والوارد، كثير الإصابات. كان - وعزوناه إلى شقاوته وفرط حركته -كما أن طبيبا ممن زرناهم لم يضع يده على العقدة التي بلوح الخشب.

ظل أخي يتكسّر يومًا بعد يوم، كما تتلقّف درجات سلم حجري بيضة حمامة... أمدّنا القصور الذاتي لنعيش معا حتى شهادة الابتدائية، وقد أنهينا اختباراتنا على أتم وجه، وبطريق العودة تاخمنا سورًا عهدناه كساق ثالثة نرتكز عليها من حين إلى آخر. مرَقوا بجوارنا تارةً وتخلفوا عنا أخرى... صبية معنا يصغروننا، تهامسوا... تشاوروا... حدجوا أخي وبي بنظراتهم، استاطل السُباب، عيونهم تشير على أيادينا وأثر الجذام جلِيّ عليها، ضحكوا... استمرأوا الهمز والغمز، استشاط أخي وقد وجدته قد استغلقت روحه وأعتم صحن

وجهه. ألقى نفسه عليهم... إذ ليس بمقدوره أن يتعارك ويركل، فعل كمن التحف حزاما ناسفا، وغضبه أحرّ من الديناميت... وقع اثنان مع أخي، قام الاثنان ولم يقم أخي، صرخت فيهم، ربما لوهني. تحلقنا بمَقل منها من يطعننا بعيون تزيف الشفقة وأخرى مغتمة، لكن آلمتني مصمصة الشفاه ومن ثمّ غابت عنا عين الشمس، حتى جاءت سيارة الإسعاف... أقلتنا للمستشفى وفيما أنا أترجّل... هوت قدمي... اختلجني شعور من يقع من بناية ذات عشرة طوابق، انكببت على وجهي... غبت عن الدنيا... استيقظت وبجواري ملف يصف حالتي: (مريض هيموفيليا - المرض الزجاجي) تم نقل عدد ستة قِرب بلازما طازجة بشرية، محظور اللعب والعدو والترجل مما يتحرك... ممنوع القفز والعراك... ممنوع العيش الجاف، رددت في خيبة أمل: ممنوع العيش كل العيش.

أكملت مطالعة التقرير... - ممنوع نش الذباب إذا ما أفضى للطم الخد. استيقظت، ولم يستيقظ أخي. بيده ملفه مشرعًا على مُد ذراعه، وأهدابه تشهد على روح كسرت مُخلّفة حبّات الحسرة، تلمع بعينيه الغاربة، وجسده كملاءة أزاحها تيار هواء مباغت... عضم ســـايـل

[22]
تسربت نكيط من الماء

سبقها إليّ، بخفة أربعيني نحيف... وتسرسبت خلفه وله خمس دقائق معي، بدأها بسلام دافئ، وسألني عن أحدهم من عائلتي حضر حرب 1973، لم ينتظرْ حتى أناوله ال.. لأ. قص خيط الهواء وسحبه إلى منتصف جوفه وقال في تباهٍ: تلك صورتي بدراجتي النارية سنة ٦٨ رفع سبابته وقال: 14/2/68 بدراجتي النارية بالفرقة ١١ جيش تالت... -تالت؟ تبسّم من جديد ووصله مني تووددي. -نعم ج٣ عالضفة الشرقية للقنال... أنا... أنا (وقد استقام ظهره) أنا فني اللاسلكي اللي وصل عسكري النوبة للسادات. -تقصد الإشارة.. - نعم نعم... الإشارة!!، أنا صاحب الفكرة... أنا... وقد ارتعش الوهن بيده التي لوّح بها، هزّ رأسه الذي انكفأ... -السن يا بني.

اهتزت علامة استفهام في رأسي. أليس هو صاحب الفكرة؟! عمو. كتم الرب فم الكون... لحظات... ثم قوست صحن وجهي حائرًا بين دهشتي وشكري... أقف أمام حالة - كَاركْتُر- أصيلة... وبين توجسي من دافعه ليفعل؟! لمَ جرجرني من عيني وفتح لي بابًا على حائط بطولاته ؟! أخرج أُخرىٰ بيد كفيفة شديدة الحس... بينما عيناه مدّت الجسر لمحجري... يستنقص حفاوتي وافتخاري !أعطيته ما أراد بل زدت... -زارنا النبي... بالله يا بطل يا عمو البطل. تهشمت تجاعيد وانفرجت أسارير وأطلت ضروس وحنك شائخ قد تبسم. هم بالخطابة الاستعراضية !دخلت إحداهن تسربت كخيط من الماء، أحس بريحها.. اعتدل... خرخشت وريقات ذابلة بحافظة النقود، مرتبكًا... أخرج بالأخير ورقة مطوية لثمن حجمها، كمن يقبض على كوب من الجحيم !قدمها لي... تحاليل... جلست مُسنة مطوية ترتدي عباءة عجوز قطنية موشاة بحمامة باهتة. جلست أخرى بغرفة السحب. تم السحب... غمغمت قائلة: كان بيقولك ايه... رمقتهُ وهو ينقر بيده على عضم مكتب الاستقبال... شدتني بسعلتها. -قالك إنه نجار ولا لسه عالقنال.

[23]
طشت وكفن

كان وجه الدنيا خريفيًا من ذاك النوع الذي يقبض الأنفاس. اشترت أمي إوزة شَمورت بكارة، تلك المرة الأولى التي يدخل فيها جوفنا إوز، لطالما احتلت الهياكل والأجنحة وأرجل الدجاج مائدةَ المناسبات. أمعنت أمي في تجهيزها، والبسمة تدغدغ قسماتها... دخل أبي مع لملمة الشمس لأذرعها. شارع طويل وكئيب... إذا ما حَلَّ المساء فالبيوت خفيضة والجدران تقاوم السقوط. ووجهانا الذابلان أنا وأخي... ونعيق غرابٍ يأتي من بعيد. نرتدي حُللًا ليست بحُلل... تتقافز رأسانا لنرى القادم من بعيد، ورائحة الإوزة تملأُ جوفينا... كان أبي... لكن ما الذي أناخ هامته هكذا!؟ اقتربَ أكثر فلاحت إجابات كثيرة... إنه يَلُّف عمامته التي كان يسبلها، كما بدت

موشّاة ببقعات شتى، إنها حمراء... إنه دم... دم على عِمامة أبي... وجهه... أبي لم يكن وجهه ممتلئًا لتلك الدرجة، دنا مِنا، فإذا شفتاه متورمتان !عاركَ أبي، عانى أبي... شَعر بالكسرة أبي... أطرق، لمّا قابلته أمي في حَنَك المطبخ الذي تؤنسه شمعة هزيلة. بيدها خِرقة كانت لِباسًا لأبي، قدّم على معاش مبكر وعمل "شِفت كَرير"، وراح يخدم في المطبخ.

دخل حجرته وجلس يجهش بالبكاء، وعينا أمي تحاصرانه بالأسئلة، وقلبانا قد التصقا بباب الغرفة يخفقان الكسرة مع دقات القلب. أبونا أقوى رجل، وأشجع رجل، أبي نصف إله، صرخت عيناي تردّان على ما تقوله مُقلتا أخي الصغير. تَبدّل أبي مِن وقتها، عاد لا يضحك، عاد لا يطاردنا وضحكاته تسبقه إلينا. لم يجلس بعدها ليشرب الشاي مع جدتي كل جمعة. لم يعد بعدها مِن حيث أتى، ظل هناك، وجاء شبيهه بحواجبَ تتكئ على جفنيه، وجفناه قد ارتخيا، محجرين يغوران بعينيه. واحدودب يومًا بعد يوم، وكسرة تلو كسرة، للحد الذي يستحيل معه الرقاد، ولا يستخدم جانبيه. ذَبُل أبي، ونصح الشيخُ "أبو غراب" أمي أن تذبح له إوزة شَمورت بيضاء، وتهرق دمَها

على وجهه وخصره! وأن تطهوها في طشت كبير، وتحمّمه بالمَرَق. فعلت أمي... استغلت أبي الغاطّ ونحرت الإوزة حيث أشار "أبو غراب".

نعق غراب والوقت كُحل؛ حيث تلملم الشمس أحبالها. طهت أمي الإوزة في طشت الغسيل، أكثرت من المرق، وأهدرت خمس حُزم بصل وكيلو من الملح استلفته مِن جارتنا، احتضنت رائحة المرق ذرات الهواء، وامتلأ جوفي وأخي برائحتها.

دخلت أمي لتوقظ أبي... صرخت... شقت ثوبها... لطمت الخدين، وغبرت وجهها. قابلت عينَي أخي وأنا أقول أبونا أقوى رجل، وأشجع رجل، أبي نصف إله لا يموت! خذلني أبي... وكُفّن بالطشت، إذ أبَى أن يستلقي على ظهره... وغنمت القطط الإوزة.

[24]
حاصل على شهادة ميلاد

كان يومًا عجيبًا!! بدأ بمراوغة فردة شبشب الحمام الشمال كانت بعد ضغط قد ارتفع، وعروق قد نفرت، ومنخارٍ نارًا قد زفرَت؛ وجدتُها مُد طرف أناملي ولم أطلها. كانت ترزح أسفل فردة حذاء ميري كنت قد استعرته وأنا مجند، اليمين كانت: فردة قاسية خشنة غيب سمارُها تراب الهجر.

ترجّلت - على عُجالة - سُلم منزلنا هبوطًا، ووجهتي أتوبيس سيُقلنا لمعرض الكتاب، كانت المرة الأولى لي بمجموعة، حشرتُ بعضي بسيرفيس... رغم أني بالكاد سأصل إذا ما حملني تاكسي. كانت الميزانية تردّد حينها أقرب لطنين: "ربما لست بخير". وصلت، شعرت بأني أفقد بعضي... تحسّست جيوبي وجريدة كانت بيدي...

أقرأ بها تأويلًا لقصة: (حتى لا يطير الدخان لإحسان عبد القدوس). الهاتف؟ لم أجد الهاتف. ملعون... لطالما انسلّ مني. دفعت لسائق تاكسي خمسين جنيهًا عَن جُملة ما قطعناه حتى عثرنا على السيارة التي استضافت هاتفي، انزلق بجوار سائق ثلاثينية حسناء ترتدي الشيفون والساتان. انزلقت خلفه... سبحت علي فخذيها الناعمتين وغزاني عطرها الرقيق... هدأت وتناغم دمي ومزاجي ورحت أتفحّص الهاتف، كان قد أصابته حُمى ورعْشة لم تهدأ.

لا أحب الهاتف الذي ينعق مع كل مكالمة. تركت السكين بلسانه ليظل يرتعد كلما أمسكتها يد طالبًا للوصل. إنه صديقي الذي اقترح علي صحبته وآخرين للمعرض... وصلت إلى الحافلة... كانت حافلة بوجوه شتّى غير متفاهمة إلى حد كبير... ديموغرافيا متنوعة.

أجلسني صديقي إلى جواره... أخذ السائق ينفرد والنفس يهدأ، والسائق قد تمطّى. وقرص عجل الأتوبيس وجه الطريق. بدأ البرنامج العتيق الممقوت والمملول أيضًا، وقفت قُبالتنا فتاة عشرينية نحيفة البدن والعقل. وبصوت أقرب لنيجاتيف الصور: من هو مُخترع التليفون؟. تقافز أطفال بُلهُ ونافسهم مراهقو خريف العُمر... دارت

عيني مستهجنة ما أرى من رُخص... لم تكن حسناء... لكنها فتاة... بالكاد فتاة. واحدٌ فقط كان يصل بمحراب كتاب... غارق بين موجاته. انتهت المسابقة. هَلّ النسيم من نوافذ الأتوبيس، وبدأت حفلة التعارف... دُهشت فقد اتضح أن أقلهم حاصل على 47 دكتوراة في شامة حسن الأسمر والسقا، وبيد كل منهم (ديل الديب)... حتى السائق قدم نفسه على أنه عضو في لجنة القراءة بوزارة الثقافة وكتب مجلدين في فن سياقة الحرف على منحدرات الرسم البياني. جاء دور ذاك المبتل بعرق كاتب تركه بين دفتي ما كتب، نظر إلينا كمن يختبر العتمة وقد غادره توّةً الضوء. لم ينطق... فقط غمغم بعبارة قصيرة... حاصل على شهادة ميلاد وسرعان ما عانقت عيناه كتابه. سمعته وأنا أُجدف على ساقيّ فتاة... بالكاد فتاة، أزكمتني رائحة (دابر أملا) التي ترشّحت على جبينها، انزلقت خلف الهاتف الذي قفز من يدي عندما قهقه السائق وهو يقول: ويا ترى كمبيوتر ولا ورق؟ الشهادة يا محترم.

[25]

وعاود يفرك مسبحته

يجلس أمام تلفازه الجديد يفتت جسد إحداهن، كانت ممثلة ربع كُم، وثُمن بنطال... حريريا كان وأبيضَ يَلف عجينا امتزج دقيقه بالحليب، كانت بيده مسبحة كهرمان تضوِي بخضار، اعتاد أن يفركها بيده بعد الصلاة، ومع كل استثارة أو فضول. بيده اليسرى، تليفونه يعبث بشاشته بإصبعه الوسطى بغير هُدى وعيناه بين الباب والفتاة (الربع كُم).

دخلت زوجه الملفوفة الأربعينية وبيدها صينية الشاي، تحسّسَت يده الريموت وسجل رقم بعينه -الأولى المصرية- حيث خواطر الشيخ الشعراوي الإسبوعية. ثم أخذ يحوقل وقد سارع إصبعه وتيرة الفَرك

بمسبحته، وريقه لم ينتهِ بعد من الانجراف مأخوذًا بالربع كُم والحليب قد خالط الدقيق.

لم تنتبه عفاف لحوقلته... رفع صوته وعمد كمن سُئل فأجاب: لا حول ولا قوة إلا بالله راعها نفرته تلك، فلضمت طرف الخيط بالمرود وخاطت معه ثوب الحوار... قصيرًا كان الحوار، أقصر من ثُمن بنطال وربع كم. قالت في هدهدة دافئة صار يمتعض لها: مالك ياخويا؟! - أخويا؟!: قالها بينما يطالع السقف وأخذ يقول: جرى ايه للدنيا يا أم محمد -الفيس بقى يتهزله عرش ربنا- كله تصاوير لبنات لحمها فاخر حدجته، دقيق فاخر وحليب فاير: يا بركة. ردت في تبجيل وإكبار: القيامة هتقوم يبومحمد عاود هاتفه، ودوّن تعليقه أسفل قصيدة تغزلت في فتاة بيضاء، تذيلتها صورة لعشرينية بربع كم ثمن بنطال أبيض كان: اتق الله - ماذا ستقول له يوم الدينونة - اختشي - ثم لطع إيموجي لوجه غاضب، وعادَ يفرك مسبحته.

[26]
كتاب السيد حفظي

في بيجامة أبيه الكَستور التي بدا في داخلها نحيفًا -وإن لم يكن كذلك -تمطّى حتى استضاءت لَسعات من الضي الأبيض وخيوطه، بعينيه اللّتين عصرهما بينما يتثاءب بظهيرة يوم.....؟ انصرف عن معرفة أسماء الأيّام منذ زمنٍ بعيد... فقط يعرف الجمعة من خلال عم شعبان وهو يُسخِّن ميكروفون الجامع بقُبالة شقته رقيقة الحال (سسوو - زززووو- الله الله 123 الله دايم) ثم صرير يطول... يتقطع ويعود ليُسرسع كلاهما الميكروفون وعم شعبان! دفع بابًا أقرب إلى الشُباك منه إلى الباب كما لو أنه جفن يفتح للعين لوحة بها طريق ترابي وبائع بطاطا تجمهرت حول بضاعته نحلات كُثر وقليل من الذباب... الذباب هاج وهَجْ ما إن انفتحت البلكونة. بلكونة حفظي... نعم ذاك اسمه (حفظي محفوظ حافظ) لَضَمَ ثانيةً يتمطّى، غزته أشعة الظهيرة بيومٍ

شاتٍ زادت شذرات الضوء بعينيه... ظل ينفرد وينثني... صُمَّ تمامًا ولم يتفلت من تلك الحالة إلا بعدما تهاوى متأرجحًا ككرسي هزاز، استعدل وفرك عينيه ليفض اشتباكًا بأهدابه. لا لا... حفظي لا يغسل وجهه إلا إذا هَم نازلًا، وقليلة هي المرات التي يغسل فيها وجهه. كانت بيده فطيرة متيبسة من ليلة أمس... لاكها في تذمر اعقبتها ابتسامة. لا لم تمر.

لم تكن هناك من تمر بحياة حفظي، هو يعرف وأيضًا عم شعبان والميكروفون وبائع البطاطا وذباب الشقة، يعرفون أنه لا أُنثى في حياة حفظي، حسبه من الإناث بلكونة وطاولة وبيجامة كستور وفطيرة تهرسها أضراسه وقت الظهيرة وكل ظهيرة... ظهيرة لا يعرف تتبع لمن! إلا من ظهيرة بها عم شعبان يُمسك الحديدة ينفخ فيها جادًا كما لو أنه يستلب طفلا من رحم أمه لا استنطاق لميكروفون الجامع! ذلك الذي يصدر صريرًا كفواصل بين ما يردده في انهماك (الله الله... واحد اتنين تلاتة...) (هههووووف- سوو زيوو زيووو) يبتسم ومن ثَمّ يرفع الأذان ويتوقف حفظي عن التمطي وهو يحاول التماسك ككل مراته السابقة... فلا يتماسك !!هوى حفظي بعيون - زرّها العُماص- وبيده فطيرة. سارع إليه الذباب ولحق به بائع البطاطا وعم شعبان والتي لن تَمُر. ها هي مَرّت... مَرَقتْ ولم تلتفت لحفظي.

المحتويات

[1] تمرد 7
[2] دبيب لثلاثة أصابع 9
[3] سرفيس خط 8 11
[4] نصف باب يكفي 13
[5] أبو كفة 17
[6] حبّة زرقا 23
[7] هاتف كان يدق منذ قليل 27
[8] أقساط الجمعية 31
[9] اختبار حمْل 33
[10] حلّتين نحاس 37
[11] رَد سجون 41
[12] ولم أغرد بعدها قطّ 45
[13] قضية رأي عام 49
[14] دَكّر الوز 53
[15] زارتني الليلة 55
[16] الزلَعة 59
[17] الكانون 61
[18] حالة تعليمية 65
[19] وجذب بنطالي خليل 69
[20] السمك الذي لم تأكله أمي 73
[21] عضم سايل 77
[22] تسربت كخيط من الماء 81
[23] طشت وكفن 83
[24] حاصل على شهادة ميلاد 87
[25] وعاود يفرك مسبحته 91
[26] كتاب السيد حفظي 93

جميع الحقوق محفوظة ©
دار الأدهم للنشر والتوزيع
2025